المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الخامس - الإصدار الرابع والخمسون
تأريخ النشر: 20 أبريل 2024 م

التعايش والتفاعل مع الآخر من خلال وثيقة المدينة (قراءة تاريخية حضارية)

Coexistence and interaction with others through the city document (a cultural historical reading)

إعداد: الأستاذ الدكتور/ بسام بن عبد العزيز الخراشي

أستاذ التاريخ الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية

Email: bakhrasy@imamu.edu.sa

الملخص:

هدف هذا البحث إلى التعرف على التركيبة السكانية لمجتمع المدينة حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم، وتوضيح مضامين وثيقة المدينة والتعرف على وأهميتها في صيانة الجبهة الداخلية وتعزيز الوحدة داخل المجتمع المدني، وبيان قيم التعايش والتفاعل مع الآخر التي تضمنتها وثيقة المدينة من حيث الإعتراف بوجود الآخر وقيمه وثقافته، والتفاعل والتعاون في دفع الغُرْمُ والديات، والمحافظة على الأمن الداخلي في المدينة، والتوافق في مواجهة مصادر التهديد الخارجية، واعتبار الآخر مواطنًا ولو كان من غير المسلمين، والمساواة في المعاملات العامة، وذلك تبعاً لأهمية البحث وموضعه إذ أنه يساعد في فهم أقوى وأعمق للتاريخ الإسلامي وثقافته، وكيفية تأثيرها على العلاقات الاجتماعية والسياسية في ذلك الوقت بين الطوائف المختلفة في المجتمع. اتبع البحث المنهج التاريخي والتحليلي، وتوصل البحث إلى عدة نتائج من أبرزها: نجاح الوثيقة في تأسيس قيم الاعتراف بوجود الآخر داخل المجتمع المسلم، واحترام حقوقه ومكتسباته، وماله وما عليه من حقوق وواجبات، وإسهام الوثيقة في توحيد المجتمع المدني وعملت على استبدال مفهوم الفرقة والصراع الداخلي بمفهوم الأمة والوطن الواحد القائم على التفاعل والتعايش المشترك بين جميع المكونات الاجتماعية على اختلاف قبائلهم وتعدد عشائرهم وتفاوت ثقافاتهم، ويوصي البحث بالعمل على إنشاء وتنظيم أنشطة وفعاليات تعزز الحوار والتشارك والقبول بالآخر، وأيضاً تعزيز فهم قيم التعايش والتفاعل من خلال التعليم الديني والثقافي الشامل الذي يبرز مبادئ الاحترام والتسامح والتعاون، وأهمها تقديم الدعم الوافي والشامل للأبحاث والدراسات التي بدورها تركز على مسائل التعايش السلمي في المجتمع، وإنشاء القنوات الفضائية المتخصصة لبث الوعي الإسلامي بين الشعوب في العالم، وأن تتصدى للحملات الدعائية التي ترمي إلى نشر الكراهية للإسلام وأهله، والدعوة إلى العنف، والإساءة إلى نبينا محمد وسيرته.

الكلمات المفتاحية: العصر النبوي، الطوائف، التعايش، التفاعل، وثيقة المدينة

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الخامس - الإصدار الرابع والخمسون
تأريخ النشر: 20 أبريل 2024 م

Coexistence and interaction with others through the city document (a cultural historical reading)

Abstract:

The research aimed to identify the demographic composition of the Medina community when the Prophet, may God bless him and grant him peace, came, and to clarify the contents of the Medina Document and identify its importance in maintaining the home front and strengthening unity within civil society, and to explain the values of coexistence and interaction with the other that were included in the Medina Document in terms of recognition of the existence of the other and his values. And its culture, interaction and cooperation in paying fines and blood money, maintaining internal security in the city, harmony in confronting external sources of threat, considering others as citizens even if they are non-Muslims, and equality in public transactions, depending on the importance of the research and its location, as it helps in a stronger and deeper understanding of history. Islam and its culture, and how it affected social and political relations at that time between different sects in society. The research follows the historical and analytical method, The research reached several results, the most notable of which are: the success of the document in establishing the values of recognizing the existence of the other within Muslim society, and respecting his rights, gains, money, and the rights and duties he owes. Also, the contribution of the Medina Document to uniting civil society from the various existing sects and replacing the concept of division and internal conflict with the concept of the nation and one homeland based on interaction and coexistence between all social components, regardless of their different tribes, multiple clans, and varying cultures. The research recommends working to create and organize activities and events that promote dialogue, participation and acceptance of others, and enhance understanding of the values of coexistence and interaction through comprehensive religious and cultural education that highlights the principles of respect, tolerance and cooperation, the most important of which is providing support. Comprehensive and comprehensive research and studies, which in turn focus on issues of peaceful coexistence in society, establishing specialized satellite channels to spread Islamic awareness among peoples in the world, and confronting propaganda campaigns that aim to spread hatred for Islam and its people, call for violence, and insult our Prophet Muhammad and his life.

Keywords: Prophetic era, sects, coexistence, interaction, Medina document

1. المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن دراسة منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعايش والتفاعل مع الآخر أمر له أهميته، فهو يحقق العديد من الأهداف لعل من أهمها: الاقتداء والتأسي به وترسم خطاه في أعماله وأقواله وتقريراته، قال تعالى: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا..). (الأحزاب: 21)

ويضاف إلى ذلك التعرف على معالم منهجه في التعامل مع صحابته الكرام ، ومع خصوم الدعوة والصبر والثبات في سبيل ذلك، كل ذلك وغيره مما يلزم مراجعته والاستفادة منه لاسيما في عصرنا الحاضر حيث أصبح موضوع الحوار والتعايش والتفاعل مع الآخر مما يهم المجتمعات الإنسانية وهي تتوق إلى تحقيق الأمن والاستقرار عوض عن الحروب والصراعات وسط بيئات مليئة بالأسلحة الفتاكة المدمرة وغيرها من مصادر العنف الأخرى، والذي يهم الإنسانية في عالم اليوم التعرف على رؤية الإسلام الحقيقة للتعايش والتفاعل مع الآخر من خلال سيرته صلى الله عليه وسلم.

فحين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان المجتمع المدني يتكون من عدة عناصر، فكان منهم العرب: الأنصار (الأوس والخزرج)، والمهاجرون (قريش وغيرهم من العرب)، واليهود، والرقيق والموالي، وعناصر أخرى، ثم بعد استقراره، تشكلت فئات ثلاث في المجتمع، هم: المسلمون، واليهود، والعرب المشركون، وفي ظل ذلك التنوع أراد النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم أن يؤسس دولة قوية يسودها السلام والتعايش داخل المجتمع المدني.ومن هنا جاءت وثيقة المدينة لتحديد ملامح هذه الدولة، ولا يفرق بين تلك الفئات داخل هذا المجتمع الجديد، فجاء التوكيد على أن يلتزم أطراف هذه الوثيقة بالتفاعل بينهم والتعاون بعيدًا عن التهديد واستخدام العنف وذلك بالنصر والعون والنصح والتناصح والبر من دون الإثم من أجل بناء بيئة سلمية تواقة لإنجاز مجموعة من الأعمال الحضارية بعيد عن شحن النفوس بالتعصب والعنف ونبذ الآخر، كما أبرزت الوثيقة مبدأ المساواة والعدل والتعاون والتعايش السلمي بين أطياف المجتمع، حيث نصت على أنه: "..من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو آثم، وأن الله جار لمن بر واتقى"، كما نصت الوثيقة على حقوق الجار للمحافظة على الأمن الداخلي، كالمحافظة على النفس، حيث نصت الوثيقة:" أن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم" إلى غير ذلك من النصوص الواردة في هذه الوثيقة العظيمة والتي تبين من خلالها مدى أهمية العناية بموضوع التعايش والتفاعل مع الآخر داخل المجتمعات الإنسانية.

1.1. مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في فهم التعايش والتفاعل مع الآخر من خلال وثيقة المدينة، ومما يساهم في الحفاظ على الهوية والتراث الثقافي للمجتمعات الإسلامية، وذلك من خلال دراسة وتحليل نصوص وثيقة المدينة، لفهم كيفية استخدام هذه القيم والمبادئ في تحسين التعايش والتفاعل الاجتماعي، لذا رأى الباحث ضرورة دراسة موضوع البحث لفهم الأساسيات الاجتماعية والثقافية في المجتمعات الماضية، إذ يساعد البحث على تصور وفهم وسيلة التعايش بين الناس التي نظمتها وثيقة المدينة.

2.1. أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن التعايش والتفاعل مع الآخر من خلال وثيقة المدينة، ويتفرع عنه عدة أهداف منها:

1. التعرف على التركيبة السكانية لمجتمع المدينة حين قدوم النبي صلى الله عليه وسلم.

2. توضيح مضامين وثيقة المدينة والتعرف على أهميتها في صيانة الجبهة الداخلية وتعزيز الوحدة داخل المجتمع المدني.
3. بيان قيم التعايش والتفاعل مع الآخر التي تضمنتها وثيقة المدينة.

3.1. أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه يساعد في فهم أعمق للتاريخ الإسلامي وثقافته، وكيفية تأثيرها على العلاقات الاجتماعية والسياسية في ذلك الوقت، كما أن الأهمية تنبثق من توفير مرجع حديث لدراسة وثيقة المدينة، إذ يسهم هذا البحث في فهم التاريخ الإسلامي وإثراء المعرفة الإنسانية، وتحليل التراث التاريخي والثقافي للمجتمعات الإسلامية وتوثيقه من خلال هذا البحث، والذي يسهم في تعزيز التفاعل والتعايش المجتمعي بين أفراد المجتمعات المعاصرة من مختلف الجنسيات بتطبيق مبادئ وقيم وثيقة المدينة.

4.1. منهج البحث:

تم اتباع المنهج التاريخي والتحليلي، كون طبيعة البحث فرضت اتباع هذه المناهج من خلال السرد التاريخي وتحليل مضمون وثيقة المدينة.

وقد اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن ينتظم في مقدمة وخمسة محاور وخاتمة:

المحور الأول: تحديد مصطلحات (الآخر، التفاعل والتعايش، العلاقات الإنسانية).

المحور الثاني: التركيبة السكانية لمجتمع المدينة حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم.

المحور الثالث: وثيقة المدينة وأهميتها في صيانة الجبهة الداخلية وتعزيز الوحدة داخل المجتمع المدني.

المحور الرابع: قيم التعايش والتفاعل مع الآخر التي تضمنتها وثيقة المدينة.

أولاً- الإعتراف بوجود الآخر وقيمه وثقافته.

ثانيًا- التفاعل والتعاون في دفع الغُرْمُ والديات..

ثالثًا- المحافظة على الأمن الداخلي في المدينة.

رابعًا- التوافق في مواجهة مصادر التهديد الخارجية.

خامسًا-إعتبار الآخر مواطنًا ولو كان من غير المسلمين.

سادسًا- المساواة في المعاملات العامة.

المحور الخامس: ثمرات وفوائد التفاعل والتعايش وآثاره من خلال الوثيقة.

المحور الأول: تحديد مصطلحات (الآخر، التعايش والتفاعل، العلاقات الإنسانية):

من المهم عند دراسة هذا الموضوع التعرف على المصطلحات الأساسية له ومدلولاتها من أجل التوصل إلى مصطلح أو مفهوم محدد تنتظم من خلاله التطبيقات والشواهد التاريخية للموضوع بشكل واضح.

الآخَرُ:

عند أصحاب اللغة الآخر- بفتح الخاء وضم الراء-آخَرُ، والجمع: آخَرُون وأُخْرى، والمؤنث أواخِرُ وأُخَر وآخَرُون: الجمع أُخَرُ وأُخْرِيَات، ويقصد بها أحد الشخصين أو" الشيئين ويكونان من جنس واحد.. أو بمعنى غير". (مصطفى، وآخرون، 1989م، ص9)

والآخَرُ بالمفهوم الاصطلاحي يقصد به غير المسلم وهو شامل لما اصطلح على تسميته، في حضارتنا الإسلامية بأهل الذمة وهو مصطلح أطلق على مواطني الدولة الإسلامية من غير المسلمين، وبخاصة اليهود والنصارى(المسيحيين)الذين كان لهم عهد مع المسلمين ليعيشوا في حماية الإسلام، وفي كنف المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين، (المزيني، 1427هـ، ص17-21). كما يدخل في دائرة الآخر (المستأمنون) ويقصد بهم غير المسلمين، من الوافدين إلى بلاد الإسلام لعمل أو نحوه، حيث يعرفهم الفقهاء المسلمون ب (المستأمنين) أو (المعاهدين). (العايد، 1424هـ، ص18)

التفاعل والتعايش:

التفاعل مصدر تَفاعَل، تفاعلاً، فهو متفاعِل، ويقال تفاعل الشيئان أي أثر كل منهما في الآخر.. وأصبح بينهما تفاعل مستمر وتأثير متبادل، (أنيس، 1972، ص639-640)، والتعايش-بفتح الياء-فعل رباعي مشتق من الفعل عاش، (الرازي، 666هـ، ص795) والعَيشُ: معناه الحياة.. وتعايشوا: عاشوا على الأُلفة والمودة ومنه: التّعايُشُ السلمي، (أنيس، 1972، ص639-640). والمفهوم الذي تتبناه الدراسة لهذا المصطلح المركب (التفاعل والتعايش) هو حالة من الألفة والتعاون والاندماج بين جميع المكونات السكانية، والقوى الاجتماعية في المدينة النبوية من خلال الوثيقة التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم من أجل العيش المشترك بين مواطني دولة المدينة الناشئة التي أقامها النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة.

العلاقات الإنسانية:

العلاقات الإنسانية لها ارتباط وثيق بالتفاعل والتعايش بين أفراد المجتمع الواحد ويلزم تحديد هذا المصطلح فهو يتكون من شقين أساسيين هما كلمتا، علاقات، وإنسانية، فالعلاقات: جمع ومفردها علاقة بفتح العين وتعني علاقة الخصومة وعلاقة الحب،(الجوهري، 393هـ، ص1531)، أما كلمة الإنسانية: فهي تعني جملة الصفات التي تميز الإنسان عن غيره. (أنيس، 1972، ص639-640)

المحور الثاني: التركيبة السكانية لمجتمع المدينة حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم:

تنوعت التركيبة السكانية بالمدينة، فكان منهم العرب: الأنصار (الأوس والخزرج)، والمهاجرون (قريش وغيرهم من العرب)، واليهود، والرقيق والموالي، وعناصر أخرى، ويمكن بيان ذلك في الآتي:

الأنصار:

الأنصار هو اسم إسلامي عُرف به الأوس والخزرج في عصر النبوة، فقد سماهم الله ورسوله بهذا الاسم عندما بايعوا على الإسلام، قال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.**﴾ (التوبة: 100)

وورد في حديث أنس بن مالك ﷺ لما سُئل "أرأيت اسم الأنصار، كنتم تسمون به، أم سماكم الله ؟ قال: بل سمانا الله ". (البخاري، 256هـ، ص686).

المهاجرون (قريش وغيرهم من العرب):

الهجرات إلى المدينة كانت متواصلة قبل بعثته خاصة الهجرات القرشية حيث كانت هناك علاقات وطيدة مع بعض أهالي المدينة، فقد تزوج هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب منهم وعاش ابنه عبد المطلب بين أخواله بني النجار، كما قامت علاقة صداقة بين بعض الزعامات في مكة والمدينة حيث صادق أمية بن خلف سعد بن معاذ زعيم الأوس،

وكان العاص بن وائل السهمي وعتبة بن ربيعة على اتصال وثيق بأهل المدينة كذلك، (الشريف، 1424هـ، ص148)، وبعد البعثة النبوية بدأت الهجرات تتزايد خاصة بعد بيعتي العقبة الأولى والثانية.

اليهود:

يعد اليهود من العناصر السكانية في المدينة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إليها، وكانت مساكنهم داخل حصونهم. ويلاحظ أنه ليس هناك تاريخ محدد وثابت عن بداية الوجود اليهودي في المدينة أو عن أصولهم وجذورهم التاريخية، ولكن قبل الحديث عن هذا الجانب لا بأس من الإشارة إلى معنى كلمة (يهود) ومدلولاتها.

فقد اختلف اللغويون في تحديد معنى يهود هل هو أعجمي أو مشتق وإن كان مشتقًا فما هي مادة اشتقاقه؟ قيل إنها كلمة عربية مشتقة من الهود أي التوبة، هاد يهود هودا: أي تاب ورجع إلى الحق فهو هائد، وقال بعضهم وهود الرجل أي حوله إلى ملة اليهود وصار يهوديًا،(ابن منظور، 711هـ، ص439)، وقال آخرون إن يهود كلمة أعجمية، وليست مشتقة من مادة هود العربية، وهي تعريب لكلمة يهوذا التي هي اسم أحد أسباط بني إسرائيل، وقد أطلقت هذه الكلمة يهود على بني إسرائيل وأصبحت علما لهم (الخالدي، 1419هـ، ص27-28)، وإسرائيل وهو لقب يعقوب عليه السلام ويعني إسرا بمعنى عبد وإيل هو الله، (الصابوني، 1405 هـ، ص38)، وتختلف المصادر في تحديد بداية وجود اليهود في المدينة، وأصولهم هل هم من بني إسرائيل نسبًا أم أنهم عرب تهودوا ؟. ذكر ابن رسته أن وجود اليهود في المدينة يعود إلى زمن موسى (ليدن، 1982م، ص60-61)، في حين هناك من يقول بأن بداية وجود اليهود في المدينة كان بعد نزوحهم من الشام في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد بعد أن نجح الرومان في السيطرة على سوريا ومصر في القرن الأول ق. م. وعلى اليهود ودولة الأنباط في القرن الثاني بعد الميلاد، مما أدى باليهود إلى الهجرة إلى شبه الجزيرة العربية التي كانت بعيدة عن سيطرة الرومان الذين أفزعوهم (العمري، 1415 هـ، ص277)، وقيل إن قدوم اليهود إلى الحجاز جاء بعد حرب اليهود والرومان في عام 70 م التي انتهت بخراب فلسطين وتشتت اليهود في أصقاع المعمورة حيث قصدت جموع كثيرة منهم بلاد العرب، (إسرائيل ولفنسون، 1345 هـ، ص9) فقد ذكر السمهودي: أن الروم لما غلبوا على الشام خرج قريظة والنضير وبهدل هاربين من الشام يريدون من كان بالحجاز من بنى إسرائيل، وهناك من أرجع قدوم اليهود إلى الحجاز إلى زمن موسى حين قدم للحج وكان معه أناس من بني إسرائيل، وفي طريق عودتهم أتوا على المدينة فرأوا موضعها صفة نبي يجدون وصفه في كتبهم فنزلوا فيها، (السمهودي، 1326هـ، ص34) وهناك روايات أخرى تشير إلى أن وجود اليهود في المدينة كان في أيام نبوخذ نصر أو بختنصر ملك بابل، بعد أن جاء إلى فلسطين فهرب مجموعة منهم إلى المدينة واستقروا بها إلى مجيء الإسلام. (علي، 1408 هـ، ص517-518).

على أي حال فإن اليهود عندما قدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان لهم وجود فاعل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

الرقيق والموالي:

يُعد الرقيق والموالي من المكونات الاجتماعية بالمدينة في عصر النبوة، ويعتمد عليهم في كثير من الأعمال التي يصعب على المجاهدين القيام بها ربما لانشغالهم بالغزوات والسرايا، على أن هناك من الرقيق والموالي ومن شارك في العديد من الغزوات وأظهر براعة في القتال بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقد شهد غزوة بدر عشرون مملوكًا. (الواقدي، 1409 هـ، ص153)

كما أن السبي في الغزوات والسرايا كان من أسباب تزايد الأرقاء في المدينة خلال عصر النبوة، وهم في الغالب، من القبائل العربية. ولم يكن أسر هؤلاء العرب لمجرد استرقاقهم بقدر ما كان يستهدف تحريرهم من ضغوط ربما كانت تمنعهم من دخول الإسلام داخل قبائلهم، ولذا نجد أنهم يعاملون معاملة إنسانية عالية، فلم يكن يفرق بين المرأة وابنها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام كثيرًا ما يمنون على هؤلاء الأسرى بالعتق بعد وصولهم إلى المدين.

كما يوجد أيضًا فئة من الموالي كانوا يعرفون في المجتمع المدني باسم المولدين، ينسبون إلى بلدانهم أو قبائلهم فيقال: مولدي حسمى ومولدي مكة ومولدي السراة، ومولدي مزينة وكان للموالي والرقيق مصادر رئيسية تغذي مرافق العمل في المدينة وتساعد على تسيير عجلة الحياة فيها. ومن أشهر هذه المصادر: الحبشة، وفارس. وكان وجود الموالي الفرس في المدينة يرجع إلى الفترة السابقة للهجرة. وأيضًا كان الاختطاف أحد أسباب رقهم حين يأتون لأغراض تجارية وخلافها فيؤسرون ثم يباعون في المدينة.

أما الموالي القبط فقد عرفوا في الحجاز قبيل الهجرة. ومن أولئك أبو رافع القبطي، كان مولى العباس بن عبد المطلب وأسلم قبل بدر ويعقوب القبطي وكان ممن بعثه المقوقس مع مارية للنبي. وتعد بلاد النوبة إحدى المصادر المشهورة لمد المدينة بالرقيق. (العسقلاني، 1415 هـ، ص649)

على أي حال فإن الرقيق والموالي من العناصر البارزة في المجتمع المدني وكان لهم أثر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

الغرباء الأجانب:

فإن عناصر المجتمع في المدينة لم يقتصر على العرب واليهود وبعض الموالي والرقيق، بل كانت توجد عناصر سكانية من الغرباء والأجانب من الصائبة والنصارى والمجوس وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم، قال تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)** (الحج: 17)

ومن الغرباء الأجانب في المجتمع المدني بعض التجار النصارى الذين كانوا يأتون من الشام بتجارتهم، وأسلم بعضهم بالمدينة. وأيضًا كان للفرس المجوس عباد النار وجود في المجتمع المدني. وربما دل على وجودهم ذلك المجوسي الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أعفى شاربه وأحفى لحيته، (الطبقات، 1965م، ص359) وكانت المدينة تستقبل العديد من الفرس وفي الغالب هم من المجوس، فقد كان الصحابي الجليل سلمان الفارسي الذي كان مجتهدًا في المجوسية إلى أن أسلم وأقام بالمدينة ويضاف إلى الغرباء الأجانب بعض الصحابة الكرام أمثال صهيب الرومي الذي عاش طفولة ناعمة سعيدة، إلى أن سبي بهجوم رومي، وقضى طفولته وصدر شبابه في بلاد الروم، وأخذ لسانهم ولهجتهم، وباعه تجار الرقيق أخيرًا لعبدالله بن جدعان في مكة الذي أعجب بذكائه ونشاطه وإخلاصه فأعتقه وأخذ يتاجر معه حتى أصبح لديه المال الكثير. وكذلك الحال مع الصحابي الجليل بلال بن رباح، وغيرهم ممن اندمجوا ضمن المكون الاجتماعي في المدينة.

فئات أخرى:

كما يوجد عناصر سكانية أخرى ليس بوسعنا تجاهل وجودها ضمن المكون الاجتماعي في المدينة، فهناك قبائل قدمت إلى المدينة أو نزلت بالقرب من بعض المسالك المؤدية إليها مشكلة بذلك ريفها وباديتها إلى جانب صلة الجوار حيث ارتبطت بعضها مع العناصر السكانية الأخرى بعلاقات اجتماعية واقتصادية، إضافة إلى عناصر أخرى سكانية من أفناء العرب وهم في

الغالب يرجعون إلى بعض القبائل، فقد اختلطوا بعناصر السكان الأخرى في المدينة بعلاقات اقتصادية ومزاولة بعض المهن والحرف والصناعات المحلية.

المحور الثالث: وثيقة المدينة وأهميتها في حماية الجبهة الداخلية وتعزيز الوحدة داخل المجتمع المدني.

رغب النبي صلى الله عليه وسلم في أن يزيد من أسباب التعايش والتفاعل في المجتمع المدني، فعمل على تنظيم العلاقات الإنسانية _بصورة رسمية_ بين سكان المدينة لاسيما مع اليهود، وذلك من خلال عدة معاهدات استهدفت توضيح التزامات كل طرف، وتحديد الحقوق والواجبات، وقد سميت في المصادر المتقدمة (بالكتاب والصحيفة) وأطلقت الأبحاث الحديثة عليها لفظ الدستور والوثيقة. (العمري، 1421 هـ، ص272)

وهناك جدل حول هذه الوثيقة من ناحية صحتها، فقد أوردها ابن إسحاق (ت151هـ) في سيرته دون إسناد مما جعل روايته ضعيفة ونقلها ابن سيد الناس عن ابن أبي خيثمة من طرق ضعيفة (الناس، 1413 هـ، ص320) كما أوردها أبو عبيد القاسم بن سلام رواها بإسناد منقطع يقف عند الزهري كما وردت في كتب الحديث نصوصٌ من الوثيقة بأسانيد متصلة، وبعضها خرّجها الشيخان (البخاري ومسلم)، فهذه النصوص جاءت في أحاديث صحيحة، وقد احتج بها الفقهاء وبنوا عليها أحكامهم.

ويرى بعض الباحثين أن الوثيقة بشكل عام مقبولة بالنظر إلى ما ذكرناه (العمري، 1421 هـ، ص272-276)، ونظرًا للاعتبارات التالية:

1- أن بعض المصادر التاريخية التي بين أيدينا قد أوردت هذه الوثيقة أو بعض نصوصها.(البلاذري، 279هـ، ص286) (الطبري، 1961م، ص479) (المقدسي، 1903م، ص179) (ابن حزم، 1403هـ، ص73)
2- أن أسلوب الوثيقة ينم عن أصالتها «فنصوصها مكونة من جمل قصيرة بسيطة وغير معقدة التركيب، يكثر فيها التكرار، وتستعمل كلمات وتعابير كانت مألوفة في عصر الرسول ثم قل استعمالها فيما بعد حتى أصبحت مغلقة على غير المتعمقين في دراسة تلك الفترة، وليس في هذه الوثيقة نصوص تمدح أو تقدح فردا أو جماعة، أو تخص أحدا بالإطراء أو الذم لذلك يمكن القول بأنها وثيقة أصلية وغير مزورة » (العلي، 1969م، ص504)
3- التشابه الكبير بين أسلوب الوثيقة وأساليب كتب النبي صلى الله عليه وسلم الأخرى يعطيها توثيقا آخر.

على أي حال فإن الوثيقة تضمنت عدة بنود نظم النبي صلى الله عليه وسلم من خلالها العلاقات بين سكان المدينة لاسيما اليهود، ولعل من أبرز بنودها:

1ـ أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

2ـ وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم نفسه وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

3ـ وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

4ـ وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

5ـ وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

6ـ وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف.

7ـ وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

8ـ وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإن لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

9ـ وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

10ـ وأن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وأن البر دون الإثم.

11ـ وأن موالي ثعلبة كأنفسهم.

12ـ وأن بطانة يهود كأنفسهم.

13ـ وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد.

14ـ وأنه لا ينحجز على ثأر جرح، أنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم وأن الله على أبر من هذا.

15ـ وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

16ـ وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم.

17ـ وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

18ـ وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

19ـ وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

20ـ وأن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

21ـ وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

22ـ وأن بينهم النصر على من دهم يثرب.

23ـ وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

24ـ على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

25- وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه.

26ـ وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله. (حميد الله،1407 هـ، ص57-64)

المحور الرابع: قيم التعايش والتفاعل مع الآخر التي تضمنتها وثيقة المدينة:

الاعتراف بوجود الآخر وقيمه وثقافته:

المجتمع في المدينة حين وصلها النبي صلى الله عليه وسلم يتكون من عدة عناصر، فهناك العرب: الأنصار (الأوس والخزرج)، والمهاجرون (قريش وغيرهم من العرب حول المدينة)، واليهود، إضافة إلى عناصر سكانية من الغرباء والأجانب من الصابئة [1] (الحسيني،1931، ص1350)

(1) الصابئة: قوم يعظمون الكواكب والنجوم.

والنصارى والمجوس وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم، **قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (الحج: 17).** وبعد تزايد دخول الناس في الإسلام تشكلت ثلاث فئات تمثل الغالبية في المجتمع، وهم المسلمون، والعرب المشركون، واليهود والذي يهمنا هم الآخر وهم اليهود حيث برز منهم ثلاث قبائل انتشرت في المدينة هي: بنو قينقاع استوطنوا وسط المدينة من الشرق إلى الغرب، وكانوا يشتهرون بالصياغة والصناعة، وبنو النضير قد استوطنوا جنوبي المدينة وكانوا يشتهرون بالزراعة، وبنو قريظة وقد استوطنوا شرقي المدينة، وكانوا يشتهرون بالزراعة، وهناك بقية بطون يهود الأخرى الأقل أهمية والتي تسكن المدينة وأطرافها، وقيل: إنها تزيد على العشرين بطنا مثل: بنو عكرمة، وبنو محمر، وبنو زعورا، وبنو الشطيبة، وبنو جشم، وبنو بهدل، وبنو عوف، وبنو معاوية، وبنو مريد، وبنو القصيص، وبنو ثعلبة، وغيرهم (السمهودي، 1326م، ص112-116) وأمام هذه التعددية السكانية داخل المجتمع المدني في الأصول والأعراق والثقافة والدين، حرص النبي صلى الله عليه وسلم على كتابة هذه الوثيقة لضمان تعايش وتفاعل جميع هذه المكونات على أساس الاعتراف والقبول بوجود الآخر المختلف دينيًّا وعرقيًّا وثقافيًّا في معظم بنودها، فقد أقرّت الوثيقة أن "يهود بني عوف أمة مع المؤمنين"، وهذا ليس ليهود بني عوف وحدهم، ولكنه لجميع بطون يهود الأخرى الوارد ذكرهم في الوثيقة، وهم: بني النجار، ويهود بني الحارث، ويهود بني ساعدة، ويهود بني جشم، ويهود بني ثعلبة، ويهود بني الأوس، ويهود جفنة، ويهود بني الشُّطيبة وغيرهم وهذه محاولة لدمج هذا المجتمع المنغلق مع غيره من المكونات الاجتماعية داخل المدينة، ولهذا حرصت الوثيقة على تأسيس هذا المبدأ المهم وتوضيحه لجميع العناصر السكانية، وهو أنهم أمّة واحدة: "وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ أي لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته". وهذا فيه دلالة واعتراف صريح بأنهم من مكونات المجتمع وأن لهم حرية الدين والعقيدة، وهذا بالتالي يعطي اليهود حق التعايش بأمن وسلام إلى جانب المسلمين، يمارسون معتقداتهم وأمور دنياهم الخاصة بهم، التي تضاد معتقد الدولة، التي أرسى دعائمها نبينا محمد على التسامح والتناصح والبر دون الإثم، معترفا للآخر اليهودي بأنه "أمة مع المؤمنين"، دون الالتفات لعقيدته، وهذا يعد نقلة نوعية في المجتمع المدني حيث فتح لجميع المتعاقدين عهدًا من الوئام والتفاهم والتعايش السلمي داخل المدينة، وأن يقبل بعضهم بعضًا وأن يقرّوا بحق الجميع في الوجود، وهذا أقصى أنواع الاعتراف بالآخرين الذي ينطلق من الثقة، والاحترام المتبادلين. (الشعيبي، 1426 هـ، ص110)

التفاعل والتعاون في دفع الغُرْمُ والديات:

من القيم البارزة في الوثيقة التفاعل والتعاون مع الآخر في دفع المغارم واستيفاء الديات، فقد اعتبرت الوثيقة المهاجرين كتلة واحدة، "أن المهاجرين من قريش على ربعتهم، يتعاقلون،[2] (أبي علفة، 2003م، ص621) بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين".

أما الأنصار فنسبتهم إلى عشائرهم فتقول -الوثيقة-: "وبنو... على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين"

ويلاحظ هنا كيف ساوت الوثيقة بين المسلمين في الدماء، فالدية عليهم واحدة، بعكس الحال في الجاهلية، حيث كانت دية الأفراد تختلف حسب مكانتهم الاجتماعية.

(2) يتعاقلون من العقل: أي يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها.

ويلاحظ أن عبارة الفداء تكررت في بنود الوثيقة عشر مرات "وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين"، إضافة إلى الحث على وفاء الدين عن المغارم حيث نصت على "أن المؤمنين لا يتركون مفرحا،(ابن منظور، 1388 هـ، ص541) [3] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل"، وحيث إن دولة المدينة مازالت في مراحل تأسيسها عند الهجرة، ولم تكن الترتيبات والتنظيمات المالية قد وجدت، ولم تفرض الزكاة بعد، ولا الغنائم والجزية لتتمكن من دفع دين المغارمين في تلك المرحلة المبكرة فقد جعلت الوثيقة هذا الالتزام المالي شرط ليتعاون الجميع فيه بمن فيهم الآخر اليهود وغيرهم لتحقيق مزيد من التفاعل والتعايش داخل المجتمع.

المحافظة على الأمن الداخلي في المدينة:

ومن قيم التفاعل والتعايش في الوثيقة أنها جعلت المحافظة على الأمن الداخلي مسؤولية مشتركة، فقد نصت على أن للمدينة حرمتها "أن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة" والحرم هو ما لا يحل انتهاكه، فلا يقتل صيده، ولا يقطع شجره (النووي، 1392 هـ، ص136)، والحرم مواضع معروفة محددة، خارجها حل وداخلها حرم، ومعنى هذا منع الحروب والقتال بين القبائل والعشائر وتعزيز التعايش السلمي بين فئات المجتمع، فوضع حدا لأقوى عامل في خلق القلق والاضطراب، وما يجره من أمور، ولا ريب أن استعمال كلمة حرام قصد منه إعطاء السلم طابعًا دينيًا، فيكون أثره أقوى، كما أن هذه المادة تعطينا فكرة عن كيفية ظهور بعض الحرم في الجزيرة، وقد استلزم ذلك تحديد حرم المدينة (العلي، 2009، ص114)، وصونًا للجبهة الداخلية من بؤر القلق، والعدوان الظاهرة نصت الوثيقة على منع البغي والظلم، وحرم الثأر، "أن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم أو ابتغى.. إثما أو عدوانا أو فسادا بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم"؛ وفي موضع ورد في الوثيقة: "وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول بالعقل وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه"، وهذا فيه توكيد على أن الجميع يتفاعل ويشترك في الوقوف ضد الظلم والإثم والفتن السياسية التي تحصل بين أفراد هذا المجتمع، "ولو كان ولد أحدهم" وهذا التنظيم يعد تطورًا جديدًا في المجتمع المدني حيث تم استبدال شعار الجاهلية من "نصر الأخ ظالما أو مظلوما" إلى "نصره ظالما بردعه عن ظلمه فذلك نصره". كما أن الوثيقة أكدت على إبراز دور المؤمنين في تعزيز التعايش بين أبناء المجتمع حيث حددت أنه من "اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة... وأن المؤمنين عليه كافة...." أي أن من قتل بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله فإن القاتل يقتل إلا إذا اختار أهل القتيل أخذ الدية بدل القصاص أو وقع منهم العفو. (العمري، 1415 هـ، ص277)

ومن صور المحافظة على الأمن الداخلي التي تضمنتها الوثيقة لضمان التعايش والتفاعل بين أفراد المجتمع القضاء على الفتن والعداوات حيث نصت على أن القصاص نازل بالجميع، وإذا كانت الطريقة التي يتم بها تمكين ولي المقتول أو مساعدته غامضة وغير معروفة، فإن الوثيقة تنص على أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، فليس لأحد أن يثأر بالقتل من تلقاء نفسه، وإنما القضاء هو الذي يصدر الحكم وتنفذه الدولة تحقيقًا للعدالة، قال تعالى: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ...) (المائدة:45). وهذا بخلاف ما كان عليه حكام اليهود، فقد كان بنو النضير يفضلون على بني قريظة في الدماء، فتحاكموا في ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحملهم على الحق فجعل الدية سواء. وهذا فيه دلالة على أن المحافظة على الأمن مسئولية جماعية، وكان لهذا التنظيم أعظم الأثر في تفادي الحروب الداخلية والاضطرابات. (الشعيبي، 1426 هـ، ص110)

(3) المفرح: المثقل بالدين، الكثير العيال، ورجل مفرح محتاج مغلوب. وقيل هو الفقير الذي لا مال له.

التوافق في مواجهة مصادر التهديد الخارجية:

وحَّدت وثيقة المدينة بين جميع المكونات الاجتماعية بمن فيهم الآخر وجعلتهم جميعا مكلفين بالدفاع المشترك أمام أي اعتداء خارجي تتعرض له المدينة، فمعظم بنود الوثيقة تنص صراحة على تحمل جميع المكونات الاجتماعية مسئولية الدفاع المشترك عن المدينة، "وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة..." هذا التناصر لا يقتصر على الاشتراك المعنوي والمادي فقط، وإنما يؤكد ضرورة التفاعل والتعاون في الإمداد بالسلاح لكل القادرين على مواجهة أي عدوان خارجي.

كما أعلنت الوثيقة صراحة أن قريشًا عدو خارجي مشترك ينبغي تفاعل الجميع من أجل التصدي له ومواجهته والوقوف ضده، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخشى أن تهاجم قريش المدينة يوما ما، فلم يكن يعتقد أن الأمر قد انتهى بينه وبينها بهجرته، ولم يكن يرى في المسلمين، أول عهدهم بالمدينة، من القوة ما يمكنهم من القيام وحدهم في مواجهة قريش أو غير قريش ممن يكيد له ويعاديه، لذا جُعلت كلمة "النصر" عامة في الوثيقة حرمت على الآخر من يهود ومشركين التعاون مع قريش "لا يجوز لمشرك من أهل يثرب أن يجير أيًا كان من قريش.."، وفي موضع أخر أعلنت الوثيقة بكل وضوح لكل السكان "أنه لا جوار لقريش.."

يلاحظ أن الوثيقة ضمنت لليهود حرية العقيدة والإقامة وحرية الاشتغال والكسب مادام أنهم مسالمين، وضمان الحماية لهم في بيعهم وشرائهم فيما بينهم وبين المؤمنين شريطة عدم التعامل التجاري مع قريش، وعدم السماح لقريش بترويج منتجاتها داخل المدينة عن طريقهم، بمعنى أدق إعلان المقاطعة للعدو اقتصاديًا، وسياسيًا، كما نصت الوثيقة على جواز عقد الصلح مع حلفاء المتعاقدين إذ دعا إليه أحد الطرفين باستثناء المحارب في الدين: "وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين"، وقد وضعت هذه المادة تالية للمواد المتعلقة بالدفاع المشترك عن المدينة، لذلك يمكن اعتبارها مكملة لها ومرتبطة بها، وأن الصلح الذي تشير إليه هذه المادة يتعلق بالأخطار التي تهدد المدينة. (العلي، 2009، ص113)

ولضمان بقاء هذا التفاعل والتعايش مع الآخر وهم اليهود نصت على أن "لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد.." ويظهر أن المقصود بها عدم السماح لليهود بإشهار الحرب إلا بإذن النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا تأثير كبير في عدم السماح لهم بمحالفة قريش، (العلي، 2009، ص113-114) حيث ورد التوكيد على ذلك في الوثيقة فقررت أنه "لا تجار قريش ولا من نصرها.."

وفي موضع أخر في الوثيقة تم السماح لهم بالتنقل داخل المدينة وخارجها لرعاية مصالحهم الدنيوية "وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.. وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله".

إعتبار الآخر مواطنًا ولو كان من غير المسلمين.

المواطنة بالمفهوم الحديث تعني مكان إقامة الإنسان ومقره، وإليه انتماؤه، (أنيس، 1972، ص1042) فالوثيقة في معظم بنودها نصت على اعتبار الآخر وهم اليهود وغيرهم مواطنين داخل المجتمع المدني لهم حقوقهم وعليهم واجبات المواطنة، وأن عليهم التناصر والتناصح دون الإثم، كما حرصت الوثيقة على أن التعامل بالمعروف والفضل، يساعد على التفاعل والتعايش داخل هذا الوطن، وأكدت عليه في غير ما فقرة "وأن البرّ دون الإثم"، "بالمعروف والقسط"، إلا على سواء وعدل بينهم.

وتجعل الوثيقة أن من حقوق المواطنة المحافظة على حق الجار: وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، "وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها"، حق الجار أن يستأذن جاره أو أن يتشاور معه في ما له علاقة بجوارهم المشترك، وأنه من يتبعنا من يهود، فإن له النصرة والأسوة -أي المساواة في حقوق المواطنة- غير مظلومين ولا متناصرين.

كما تعطي الوثيقة الحق لكل جماعة بأن تنفرد ببعض الممارسات الخاصة التي تتعلق بالجماعة ولا تتعارض مع الحقوق والواجبات العامة لجميع المواطنين، كما ألزمت الوثيقة الجميع بأشياء دونما تعارض أو تناقض. ولقد فتحت الوثيقة الباب للآخر من مواطنيها اليهود، إذا دعوا إلى صلح أن يستجيبوا لذلك كما مربنا، أي إذا دعا المواطنون اليهود إلى صلح مع آخرين، فإنه يتوجب على المواطنين المؤمنين أن يلتزموا بهذا الصلح ما لم يكن مع قوم يحاربون الدين: وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه (يشاركون فيه)، فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

المساواة في المعاملات العامة:

من القيم التي تضمنتها الوثيقة لتعزيز التفاعل والتعايش مع الآخر المساواة في المعاملات العامة، ومن ذلك التعاون على القضاء على التفرقة العنصرية والتمايز بين طبقات المجتمع حيث اعتبرت جميع من في الوثيقة أفراد متساويين في الحقوق والواجبات العامة دون تمييز لأي فئة على أخرى لذلك نجد هذا المنهج واضح في معظم بنود الوثيقة حيث تضمنت بكل وضوح التحام الآخر اليهودي وغيره بالمسلم لكونه جزء من هذا المكون الاجتماعي ومن رعايا دولة الإسلام التي قامت على أساس العدل والإنصاف الذي يحكم علاقة الناس بعضهم ببعض، قال تعالى : **(وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ...) (الشورى: 15)** هذا فيما يتعلق باليهود، أما فيما يتعلق بالمسلمين فقد جاء الإسلام واضعًا لأساس المساواة في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...) (الحجرات: 13).**

ومن مظاهر المساواة التي تضمنتها الوثيقة أيضًا المساواة في النفقات المالية فقد ورد في الوثيقة التفاعل في دفع كل طرف قسط نفقات الحرب الدفاعية عن المدينة على حد سواء بدون تمييز لأي طرف على الآخر. كذلك نصت الوثيقة على المساواة في منع إعطاء حق الجوار من الجميع للعدو الخارجي أو الوقوف معه ومناصرته ولو كان ولد أحدهم، وكذلك المساواة في الانتساب إلى الأمة بحيث يصبح المجتمع الجديد في المدينة يشكل أمة واحدة كما مر بنا.

المحور الخامس: ثمرات وفوائد التفاعل والتعايش مع الآخر وآثاره من خلال الوثيقة:

أولاً: الإسهام في إيجاد بيئة آمنة لنشر الدعوة داخل المدينة وخارجها خاصة في مناطق القبائل القريبة التي ارتبطت بعلاقات اجتماعية مع سكان المدينة وتحالفات سياسية مع قبائلها وروابط اقتصادية وتجارية بسوق المدينة وتجارتها ولقد أسهمت هذه القبائل بعد دخولها في الإسلام بجهد وافر في المشاركة بفاعلية في الغزوات والسرايا التي وجهها النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من أبرز المهام التي أوكلت إلى أبنائها مهام الاستطلاع ودلالة الجيوش، وقيادة بعض السرايا، وهذا ساهم في تزايد اندماجها في كيان أمة الإسلام. كما كان من ثمرات الجهود الدعوية نتيجة لهذا التعايش والتفاعل دخول طائفة من اليهود إلى الإسلام من أمثال زيد بن سعنة، وأسيد بن عبيد القرظي، ومخيريق النضري وغيرهم، فقد آمنوا برسول الله الذي جاءهم مصدقًا لما معهم من التوراة، وفيهم قال تعالى: **(وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (آل عمران: 199)** وقد كانت لهذه الطائفة من الصحابة اليهود بعد دخولهم الإسلام جهود مباركة في نشر الإسلام وخدمة السنة المطهرة.

ثانيًا: المضي في مسيرة التفقه في الدين وبناء المجتمع فقد تهيأت النفوس والعقول لأخذ قسط وافر من العلم الشرعي خاصة من قبل من أسلم حديثًا، حيث تزايد إقبال الناس على تعاليم الدين وشعائره والالتفاف حول النبي صلى الله عليه وسلم ﷺ لينهلوا منه ما ينزل من الوحي وتعلم وتدارس ما جدّ من أحكام وأوامر باعتبار أن نزول القرآن الكريم كان منجمًا وأن التفقه في الدين وتشريعاته جاءت أيضا متدرجة قالت عائشة رضي الله عنها: "نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين"(البخاري، 256 هـ، ص42).

ثالثًا: من الفوائد المهمة لهذا التعايش أن الآخر أبصر في النبي صلى الله عليه وسلم النموذج القيادي الذي يحمل صفات الأنبياء وبناة السلام، ولم يجدوا فيه نمط الشخصية الظالمة المستبدة وحاشاه من ذلك، وقد أقنعت هذه الصفات شريحة كبيرة من سكان المدينة ممن كانوا يتطلعون لقائد يجمعهم بأنهم أمام قائد عظيم، مؤهل للقيام بهذا الدور الكبير في المدينة، فازدادت حالة الرضا برسول الله قائدًا وموجهًا.

رابعًا: فتح المجال لبناء مؤسسات الدولة الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والعسكرية بعد تأمين الجبهة الداخلية لمواجهة التهديدات الخارجية لأمن المدينة حيث تم منع جميع سكانها أن يأوي أحد منهم نفسًا أو مالاً لقريش. "وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد " وذلك لضبط تحركاتهم واتصالاتهم، وهو إجراء له ما يبرره.. فالدولة لا تزال في بداياتها الأولى وهي بحاجة إلى ما يشبه الجهاز الأمني المراقب والضامن لردع كل طارئ.. ويستهدف ذلك بالدرجة الأولى منعهم من القيام بأي نشاط عسكري، كالمشاركة في حروب القبائل خارج المدينة والتجسس ونقل الأخبار، مما يؤثر على أمن المدينة واقتصادها.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.

فإنه من خلال هذا البحث والذي بعنوان: التعايش والتفاعل مع الآخر من خلال وثيقة المدينة، تبين الآتي:

1- نجاح الوثيقة في تأسيس قيم الاعتراف بوجود الآخر داخل المجتمع المسلم، واحترام حقوقه ومكتسباته، وماله وما عليه من حقوق وواجبات.

2- إسهام الوثيقة في توحيد المجتمع المدني وعملت على استبدال مفهوم الفرقة والصراع الداخلي بمفهوم الأمة والوطن الواحد القائم على التفاعل والتعايش المشترك بين جميع المكونات الاجتماعية على اختلاف قبائلهم وتعدد عشائرهم وتفاوت ثقافاتهم.

3- جاءت الوثيقة بمفهوم جديد يقوم على المساواة في المعاملات العامة وأن المحافظة على الأمن الداخلي، والتوافق في مواجهة مصادر التهديد الخارجية يُعد من الواجبات المشتركة للتعايش والتفاعل بين الناس كافة في المجتمع وإن اختلفت عقائدهم.

4- ترسخ مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وتأكد دوره القيادي حيث أقنعت بنود هذه الوثيقة جميع المكونات الاجتماعية بمن فيهم الآخر بأنهم أمام قائد عظيم، يحمل صفات الأنبياء والمصلحين وبناة السلام، فازدادت حالة القبول برسول الله قائدًا وموجهًا.

وبالإضافة إلى ما تقدم ذكره، ومن خلال معايشتي لهذا البحث لعل من التوصيات المهمة الآتي:

1- أن تبارك المؤسسات العلمية والثقافية كل كتاب يتحدث عن قيم التعايش والتفاعل مع غير المسلمين في المجتمعات الإنسانية، وتشجع وتدعم كل كاتب يقوم بهذا الجهد، وندعو إلى الإكثار من هذه الدراسات والأبحاث ليتعرف المسلمون والعالم في كل زمان ومكان المنهج النبوي في التعامل مع الآخر، والنظرة الحضارية والإنسانية للنبي.

2- كما ينبغي عدم إهمال التذكير بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمرئية والمسموعة، وطرحها على طلاب العلم بجميع مراحله وتخصصاته، والتذكير كذلك بمواقف النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الآخر ليكون لدى طالب العلم المسلم الحصيلة والحصانة الفكرية التي يستطيع بعد توفيق الله _عز وجل_ حمايتهم من الشبهات والأكاذيب.

3- كما أضم صوتي إلى من ينادي أن يكون هناك قناة فضائية متخصصة لبث الوعي الإسلامي بين الشعوب في العالم، وأن تتصدى للحملات الدعائية التي ترمي إلى نشر الكراهية للإسلام وأهله، والدعوة إلى العنف، والإساءة إلى نبينا محمد وسيرته.

4- الاستفادة من التقنيات الحديثة في جمع وتحرير الأبحاث المتعلقة بالقضايا الإسلامية، والرد من خلالها على المتهجمين والمشككين عن طريق إنشاء مواقع متخصصة في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ويكون ذلك على مستوى الجامعات، والمراكز البحثية المتخصصة وتحت إشراف أساتذة متخصصين في هذا الجانب.

وختامًا نسأل الله العلي القدير بمنه وكرمه أن يهدي ضال المسلمين، وأن يردهم إلى دينهم ردًا جميلًا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

1. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (1403هـ) جوامع السيرة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
2. ابن سعد، الطبقات، (1965م) في تخريج فقه السيرة، ط 6، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
3. ابن سيد الناس، محمد بن محمد (ت734هـ): عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: محمد العيد الخطراوي وزميله، ط1، دار التراث، المدينة المنورة.
4. ابن منظور، محمد بن مكرم (1388 هـ): لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت.
5. ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، علق عليها: طه عبد الرؤوف سعد، ط3، دار الجيل، دار الكتب العلمية، بيروت.
6. إسرائيل، ولفنسون، (1345 هـ) تاريخ اليهود في بلاد العرب، ط1، دار الاعتماد، القاهرة.
7. البخاري، محمد بن إسماعيل (1423 هـ) الجامع الصحيح، تحقيق: محمود محمد محمود نصار، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
8. البلاذري، أحمد بن يحيى (ت279هـ): أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، ط1، دار المعارف المصرية، القاهرة.
9. الجزري، مجد الدين أبي السعادات المبارك، (2003م) النهاية في غريب الحديث، عناية: رائد بن صبري بن أبي علفة، ط3، بيت الأفكار الدولية، عمان.
10. الجوهري، إسماعيل بن حماد (1407 هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، دار العلم للملايين، بيروت.
11. الحسيني، السيد عبد الرزاق، (1350 هـ) الصابئة، حديثًا وقديمًا، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة.
12. السمهودي، علي بن عبد الله (1326 هـ): وفاء الوفاء، ط1، دار المصطفى، القاهرة.

13. السمهودي، نور الدين (1419 هـ)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت.
14. الشريف، أحمد، (1424هـ)، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، مصر.
15. الشعيبي، أحمد بن قائد، (1426 هـ) وثيقة المدينة المضمون والدلالة، ط1، ط1، جامعة الزيتونة، تونس.
16. الصابوني، محمد علي، (1405 هـ)، النبوة والأنبياء: دراسة تفصيلية لحياة الرسل الكرام ودعوتهم وأثرهم في تغيير مفاهيم البشر، الطبعة الثالثة، مكتبة الغزالي، دمشق.
17. الطبري، محمد بن جرير (1961م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار المعارف المصرية، القاهرة.
18. العايد، صالح بن حسين، (1424 هـ) حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، ط4، كنوز أشبيليا، الرياض.
19. العسقلاني، أبو الفضل (1415 هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية – بيروت.
20. علي، جواد (1408 هـ)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بغداد.
21. العلي، صالح أحمد، (2009م) دولة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، ط3، شركة المطبوعات للنشر، بيروت.
22. العمري، أكرم ضياء (1415هـ)، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
23. العمري، أكرم ضياء، (1421 هـ) السيرة النبوية الصحيحة، ط4، مكتبة العبيكان، الرياض.
24. المزيني، إبراهيم بن محمد، (1427 هـ) التعامل مع الآخر، ط1، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض.
25. المطهر بن طاهر المقدسي، (1903م) كتاب البدء والتاريخ، عناية كلمان هوار، ط1، باريس
26. النووي، محي الدين يحيى بن شرف (1392 هـ): المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v5.54.1